



العنف السياسي وبناء الدولة في العراق بعد عام ٢٠٠٣

م. مؤيد جبار حسن

مركز الدراسات الاستراتيجية / جامعة كربلاء

تاريخ استلام البحث ٢٠٢٠/١٢/١ تاريخ قبول النشر ٢٠٢١/١/٠٩ تاريخ النشر ٢٠٢١/٣/٣١

من القضايا المهمة في فكر وتاريخ العراق الحديث، ظاهرة العنف التي كان لها أثر بالغ في تشكيل ملامح الوطن ووجوده على الخارطة. وفي مجال تخصصنا (الفكر السياسي) سنناول بالبحث العنف المرتبط بالسياسة أو العنف السياسي، نتقصي مفهومه وخصائصه، وما كانت انعكاساته على الواقع العراقي. فالعراق منذ عشرينات القرن الماضي، انبثق للوجود بعد ثورة العشرين، ثم واكب العنف جميع محطاته السياسية، منذ انتهاء ألقبت الملكية مروراً بصعود أجمهورية، وصولاً الى سقوط النظام البعثي عام ٢٠٠٣، على يد الغزاة الاجانب. وفي المدة التي تلت سقوط نظام صدام حسين عام ٢٠٠٣، اندلع العنف السياسي بشكل غير مسبوق، إذ مارسه المحتلون ضد الشعب العراقي بكافة اطيافه، ثم ظهرت مجاميع مسلحة جاء معظمها من خارج العراق بنيت قتال الامريكان وبعضها بنيت اكرمت المنظمة، مستغلت حالة الفوضى والانفلات الأمني.

One of the important issues in the thought, history, and march of modern Iraq is the phenomenon of violence that had a great impact on shaping the country's features and its presence on the map. In our field of specialization, political thought, we will study violence related to politics or political violence, investigate its concept and characteristics, and what its repercussions were on the Iraqi reality. Iraq, since the twenties of the last century, emerged into existence after the revolution of the twentieth, and then violence accompanied all its political stages, from the end of the monarchical era through the rise of the republic, until the fall of the ruling Baathist regime in 2003, at the hands of foreign invaders. In the period following the fall of Saddam Hussein's regime in 2003, political violence erupted in an unprecedented way, as the occupiers practiced it against the Iraqi people of all sects, then armed groups appeared, most of which came from outside Iraq and the structure of fighting the Americans, some of them with the structure of organized crime taking advantage of the state of chaos and insecurity.

الكلمات المفتاحية: العنف، الدولة، العراق.



المقدمة

لا يُعتبر العنف ظاهرة جديدة وليدة اليوم أو الأمس القريب، وإنّما ظاهرة تضرب بجذورها في أعماق التاريخ، حتى تصل إلى بدء وجود الإنسان على سطح الأرض، وقصة قابيل وهابيل هي أبرز مثال على ذلك.

والمنتبّع لهذه الظاهرة يلاحظ ارتفاع وتيرتها في المجتمعات كافة، خلال السنوات الأخيرة ، وتراجع مساحة التسامح والرأفة . وتزداد الصورة قتامة ، حين نرى نمط الجرائم والاعتداءات التي تشير الى حجم القسوة والوحشية والرغبة في الانتقام حول العالم.

ومن ابرز أنماط العنف ذلك المرتبط بالعمل السياسي، وهو الذي نتناوله بالبحث . إن العنف السياسي في العراق متأصل الجذور منذ تأسيس الدولة فيه عام ١٩٢١ ، وصولاً الى الوقت الحاضر، بحيث أصبح مرافقاً لسير بنائها وتطورها ومسيرها التاريخي.

هدف البحث: سيناقد إشكالية وجود العنف في بناء الدولة العراقية منذ تأسيسها الى الوقت الحالي ، مع التركيز على المدة المحددة بعد عام ٢٠٠٣ ، التي حصل فيها سقوط نظام استمر لعشرات السنوات وبداية نظام جديد يدعي الديمقراطية والحرية ويقوم على التمثيل الانتخابي. فنظام صدام حسين جاء بالعنف وسار حكمه عليه وأزيل به أيضاً ، وجاء بعده نظام سياسي واكبه العنف في جميع مفاصله.

غاية البحث: إثبات أن ظاهرة العنف السياسي ارتبطت بنشوء وقيام الدولة العراقية منذ بداية تأسيسها، مروراً بنشأة الملكية وانتهائها على من خلال عمل عسكري، في جمهوريات كان آخرها تلك التي مارس فيها صدام حسين (حكم البعث) دكتاتورية شمولية، وصولاً الى ازاحة هذا النظام وسقوط العراق في قبضة الاحتلال، وتأسيس نظام حكم يعتمد الديمقراطية والتعددية والانتخابات.

في بحثنا هذا سنتبع الأسلوب التحليلي للمواضيع التي سنعرضها، كما نستعين بالمنهج التاريخي للإحاطة بالأحداث وتسلسلها .

هيكلية البحث: ستكون كالاتي: فبعد المقدمة تأتي ثلاثة مباحث ، الأول منها يتناول مفهوم العنف السياسي بصورة عامة وفي العراق بصورة خاصة، أما المبحث الثاني فيركز على مفهوم بناء الدولة العراقية وإشكالياته المتعددة، في حين جاء المبحث الأخير ليدرس





حال الدولة العراق بعد ٢٠٠٣ وسماته ، التي يمكن اعتبار العنف السياسي أبرزها. وبعد ذلك الآثار والنتائج ، تليها المصادر.

المبحث الأول : مفهوم العنف السياسي

تتعدد المفاهيم في العلوم الاجتماعية للظاهرة الواحدة ، وينبع هذا التنوع من اختلاف البيانات ووجهات النظر للمفكرين والمحللين على أشكالهم كافة، من هذا نصل الى حقيقة مفادها : إن هنالك شبه اتفاق بين أغلب الدراسين لظاهرة (العنف السياسي) على ان العنف يصبح سياسياً عندما تكون أهدافه أو دوافعه سياسية. بمعنى أن يكون الفعل أو العمل الذي يتسم بالعنف ذا صبغة سياسية ، أي أن يكون لهذا الفعل أهداف ودوافع سياسية، يُهدف من ورائها الى تحقيق مطالب معينة ، وبالطبع يختلف شكل ومضمون (العنف السياسي) من بلد الى آخر ، ومن مجموعة الى اخرى ، بحسب البيئة المحيطة والظروف المؤثرة ، فقد عُرِف العنف السياسي على انه: كافة أعمال الشغب والاذى والتدمير التي يقصد منها تحقيق أهداف سياسية. كما عُرِف أيضا على انه: الوجه السياسي للعنف : وهو استخدام القوة بهدف الاستيلاء على السلطة او الانعطاف بها نحو أهداف غير مشروعة.^١

لقد تداخل مفهوم (العنف) في كثير من العلوم والتخصصات والقطاعات ، لذلك من الضروري تقصي من الناحية اللغوية والاصطلاحية ثم ماذا نعني بالعنف السياسي وفي العراق بالذات .

العنف لغة: -عُنْفَ - عُنْفاً وعِنفَةً بالرجل وعليه: لم يرفق به وعامله بشدة ، فهو عنيف ج عُنْف. عُنْفَ ه : عامله بشدة (لامه بشدة) عتب عليه . أَعْنَفَ الامر : اخذه بشدة . والعُنْف والعِنْف والعِنْف : ضد الرفق، الشدة والقسوة . الجنس العنيف : كناية عن الرجال ، يقابله الجنس اللطيف كناية عن النساء.^٢

العنف، ويأتي ضد الرفق. عُنْفَ ، كَكْرَمَ ، عليه ، وبه ، وأَعْنَفْتُهُ أنا ، وعَنْفَتُهُ تعنيفاً. والعنيفُ : من لا رفق له بركوب الخيل، والشديد من القول والسير . واعتنف المجلس : تحول عنه ، و- المراعي : رعى أنفها . وطريق مُعتنف : غير قاصد .و(عنفه : لومه بعنف وشدة).^٣



العنف اصطلاحاً: العنف (Violence) قوة من أي طبيعة كانت يسلطها فرد أو مجموعة أو دولة ضد فرد أو مجموعة أو دولة أخرى تقتلص الاستقلالية الذاتية لكل منها بداعي الخوف الناتج عن هذه القوة.^٤

والعنف هو الاستخدام غير المشروع ، أو غير القانوني للقوة، والعنف في الاساس ظاهرة بشرية، ولكنه في حقيقته يتضمن قوة شخص لإخضاع شخص أضعف منه، في الاعتداء على حرية شخص آخر.^٥

العنف السياسي ، وهو ما يهمننا في هذه الدراسة ، هو العنف المرتبط بالوصول الى السلطة أو الاحتفاظ بها ، وإن العلاقة بين العنف والسياسة قديمة قدم المجتمع الإنساني. والعنف السياسي باعتباره وسيلة للتعبير عن الرأي السياسي والحصول على الشرعية، أو كونه وسيلة للانتصار السياسي على الخصم . هو الذي يقوم به فاعله ابتداءً لتحقيق هدف سياسي أو للتعبير عن موقف سياسي ، أو يقوم به فاعله رداً على موقف أو حالة أو عنف سياسي مسلح.

وثمة شبه اتفاق بين اغلب الدارسين لظاهرة العنف السياسي على أن العنف يصبح سياسياً عندما تكون أهدافه أو دوافعه سياسية رغم الاختلاف بينهم في تحديد طبيعة هذه الأهداف ونوعيتها وطبيعة القوى المرتبطة بها ، ومن هنا ، عُرِفَ العنف السياسي بأنه “استخدام القوة أو التهديد باستخدامها لإلحاق الأذى والضرر بالآخرين لتحقيق أهداف سياسية”.^٦

العنف السياسي في العراق:

إن الباحث في الشأن العراقي ، لن يواجه صعوبة كبيرة في إيجاد الممارسات العنفية المتداخلة مع النشاط السياسي داخل المجتمع العراقي ، وذلك لكثرة الفعاليات الدموية وشراستها وتزاحمها وأبعادها اللا إنسانية في تاريخ هذه البلاد .^٧

إذ تعد ظاهرة العنف السياسي التي تواجهها البلاد من أصعب التحديات ، لأن هذا التحدي من الخطورة بمكان بحيث بات يهدد مستقبل الدولة والمجتمع معاً. ونظراً لما يخلفه من نتائج مأساوية في تدمير الارواح البشرية والاثار النفسية والمادية والاجتماعية والسياسية ، فإن هذه الظاهرة يتطلب بحثها ودراستها بموضوعية.^٨ وهذا ما نحاول فعله عبر هذه الدراسة.





ما يهمننا في دراستنا هذه هو المدة الزمنية من عام ٢٠٠٣ الى يومنا هذا، حيث أسقط النظام العراقي بفعل عنفي قامت به العديد من الدول الكبرى ، ثم وبعد انشاء مجلس الحكم وظهور سلطة الحاكم الامريكي (بول بريمر) الفعلية، تصاعدت أعمال العنف التي كانت على وجهين : الاول يستهدف القوات الغازية وتبنته مجموعات مسلحة ذات طابع سلفي، والثاني الجريمة المنظمة التي استغلت الانفلات الأمني والفوضى العارمة.

و أشارت لذلك حنا ارندت ، مثلاً بالنسبة الى غزو خارجي أو احتلال، لقد رأينا كيف ان المماثلة الرائجة بين العنف والسلطة إنما تقوم على فهم الحكومة كسيطرة الانسان على الانسان بواسطة العنف. فإذا ما وجد غازٍ أجنبي نفسه أمام حكومة عاجزة ، وأمام أمة غير معتادة على ممارسة السلطة السياسية ، سيكون من اليسير عليه فرض سيطرته عليهما. أما في الحالات الأخرى ، فإن الصعوبات تكون ضخمة، بحيث سيحاول المحتل الغازي، من فوره ان يقيم حكومة من نمط حكومة كيزلنغ^{٩٠} ، أي سيحاول أن يقيم الاساس لسلطة محلية تساند سيطرته. وهذا ما حصل في العراق وما فعله المحتل الامريكي هناك .

حتى أن دول العالم ومنها دول الجوار ودول الاحتلال ، تعاملت مع العراق عبر نهج قائم على فرض سطوتها عبر استعراض القوة والعنف والتحكم .

فالدول الاقليمية ، تجاهلت - عمداً - سيادة العراق وعاملته كناقص الاهلية عبر عدة تصرفات منها قصف المناطق الحدودية والتوغل داخل العمق العراقي ، ووصل الأمر الى إرسال قواتها وانشاء معسكرات داخل البلاد بحجة حماية مصالحها او الاقليات العرقية التي تدعي تبعيتها لها . هذا بالاضافة الى اعتمادها الأساليب غير العنيفة ، أو ما يطلق عليها (القوة الناعمة)^{١٠٠}.

أما دول الاحتلال ، فكان نهجها الأول استعراض عضلاتها ضد كل شيء في الدول المحتلة المسلوقة الارادة ، لترتكب حينئذ العديد من الخروقات القانونية والانسانية ضد العراق شعباً ودولة .

ويكفي أن نعرف حجم الانتهاكات التي حصلت خلال الاحتلال الامريكي-البريطاني، من بداية المعارك الى ما بعد استمكان المحتلين وسيطرتهم على الأرض . وفي معرض حديثه عن تلك الانتهاكات يشير (سلييل شيتي) الأمين العام لمنظمة العفو الدولية: " إن أي تقييم دقيق لغزو العراق الذي قادته الولايات المتحدة، وما أعقبه لا يمكن أن يتجاهل الآثار المدمرة التي خلفها فيما يتعلق بالحقوق الإنسانية لملايين العراقيين. ومما يبعث على

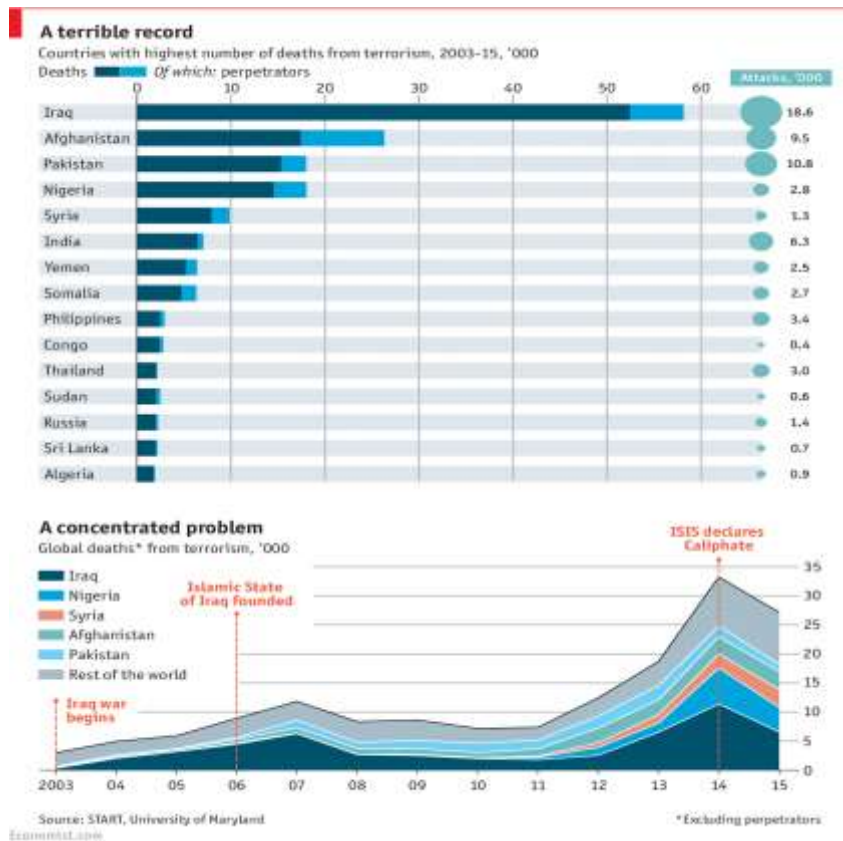


العنف السياسي وبناء الدولة في العراق بعد عام ٢٠٠٣.....

السخرية أن حكومتي بريطانيا والولايات المتحدة استخدمتا السجل المروّع لصادم حسين في مجال حقوق الإنسان، وهو سجل وثّقته تقارير منظمة العفو الدولية، من أجل حشد تأييد شعبي لخوض الحرب، ولكن مسلك الحكومتين خلال الاحتلال سرعان ما كشف عن نفاقهما في استغلال العبارات المنمّقة بشأن حقوق الإنسان "١١". فالعنف المفرط الذي استخدمته القوات الأجنبية إبان الغزو وما تلاه ضد العراقيين (مدنيين وعسكريين)، أشارت له منظمات حقوق الانسان وشجبته بقوة .

بالاضافة الى ما استتبع وجود قوات الاحتلال في المدن العراقية من حركات إرهابية ، أودت عملياتها العنيفة الى سقوط اعداد كبيرة من العراقيين بين قتل وجريح .^{١٢٠}

شكل رقم (١) البلدان الأكثر تضرراً من الإرهاب





المبحث الثاني : مفهوم بناء الدولة

بناء الدولة وديمومة بقائها وتفاعلها مع محيطها، يتم عادة بصورة طبيعية انطلاقاً من مجتمعاتها ونخبها ومراكز القوى فيها، ولكن ظاهرة بناء الدولة بمساعدة خارجية نشأت منذ ظهور الاستعمار الحديث، وظاهرة الانتداب من عصبة الأمم ثم تبلورت مؤخراً في حالات حديثة في مجتمعات خرجت لتوها من حروب خارجية أو داخلية.

هنالك حدود لقدرة المجتمع الدولي على بناء مؤسسات الدولة في مجتمعات تتعافى من آثار الحروب؛ عادة التدخل الدولي يعتمد على بناء مؤسسات إدارة قوية تملك موارد وسلطات واسعة، والعراق الحديث من تلك الدول التي انشأها الاحتلال البريطاني في عشرينيات القرن الماضي. لكنه مر بهزات سياسية عنيفة عبر ثورات أطاحت بالملكية وانتجت جمهوريات تزعمها العسكر حتى سقوط النظام الأخير عام ٢٠٠٣.

لقد فرض سياق العولمة تحدياً نظرياً تمثل في عدم تطابق المفهوم مع الواقع الراهن، نظراً لكثافة المتغيرات الجديدة التي طرحها هذا السياق، حيث أدرك المتخصصون في دراسة هذه الظاهرة، ضرورة إعادة النظر في مفهوم بناء الدولة، لكن ذاك يظل طموحاً نظرياً بعيداً عن التحقق الفعلي، إذ يمكن الحديث عن انحسار النموذج الليبيرالي الغربي وانخفاض درجة قبوله في معظم الدول النامية، في مقابل بروز نماذج محلية وبديلة في هذه الدول، ما يعكس جزئياً علاقات القوة والحقائق العالمية.

فبناء الدولة بين الثابت والمتغير؛ طرح كثنائية لأسئلة مُزمنة ظلت عالقة إلى اليوم على الأصعدة التالية: السيادة، القانون الدولي، مبدأ عدم التدخل، إعادة تصميم قدرات الدولة ووظائفها، حافز البناء، إلخ. للوصول إلى المفهوم الحقيقي لبناء الدولة، ينبغي تتبع هذا المفهوم نظرياً وواقعياً في خضم التغيرات الراهنة.^{١٣}

وهنا يمكن القول، إن العراق، امتلك كل مقومات وجود وبقاء الدولة، من شعب وأرض وتاريخ مشترك، لكن هذا لا يلغي وجود الكثير من المنغصات كتعدد القوميات والمذاهب والنحل، وعدم الاتفاق على طبيعة نظام الحكم وأسسها، وانتقاد أرضية للحوار المجتمعي والنخبوي بعيداً عن (العنف) و(العنف المضاد).



وعند استقصاء الاشكاليات التي رافقت بناء الدولة العراقية، نلاحظ ان العراق شهد تحت الحكم الملكي (١٩٢١-١٩٥٨) الكثير من الاحداث ، مثل حصوله على استقلاله الرسمي من الحكم البريطاني عام ١٩٣٢، وموت الملك غازي في ظروف مشبوهة عام ١٩٣٩، وغزوة عسكرية للعراق من قبل الجيش البريطاني في ايار عام ١٩٤١، ومساهمة العراق العسكرية في الحرب العربية -الاسرائيلية عام ١٩٤٨. لتنتهي تلك الحقبة في ١٤/٧/١٩٥٨ بانقلاب عسكري ، أعلن عن نهاية العهد الملكي وبداية الجمهورية العراقية ، وقد شهدت البلاد منذ عام ١٩٥٨-١٩٦٨ سلسلة من الثورات العسكرية كأسلوب للتغيير السياسي، وكانت كل ثورة حدثاً مفصلياً في تاريخ العراق الحديث ، وآخرها في تموز ١٩٦٨ ليستمر نظام الحكم الى ٩/٤/٢٠٠٣ تاريخ انهيار الدولة.^{١٤}

وترجع د.بلقيس محمد جواد(أستاذة العلوم السياسية) دوافع بناء الدولة العراقية الى ظروف معقدة على المستوى الداخلي حيث انتهت ثورة العشرين ، وحدث تحرك سياسي عام في عموم العراق بما فيه منطقة كردستان ، وتأزم الوضع السياسي في عموم المنطقة التي بدأت في إعادة تشكيلها وتكوين كيانات وأنظمة حكم، بعيداً عن رغبات سكانها الاصليين، تنفيذا لاتفاقية سايكس-بيكو التي عُقدت بين فرنسا وبريطانيا ، من أجل تقاسم أقاليم الامبراطورية العثمانية، وقيام الدولة السوفيتية بنشر بنود الاتفاقية، وكذلك انعقاد مؤتمر الصلح ومضامينه التي وفرت المناخ المناسب من أجل تبني الوسائل السياسية بدلا من الخيارات العسكرية. في مثل هذه الظروف تم ترشيح الملك فيصل الأول بن حسين شريف مكة ، ملكاً على العراق في مؤتمر القاهرة في ٢/٣/١٩٢١.^{١٥}

في ورقة بحثية تحت عنوان (معوقات بناء الدولة في العراق) نشرها مركز المستقبل للدراسات الاستراتيجية ، تمت الاشارة فيها الى إن "مفهوم الدولة في العراق يعاني من أزمة"، وهذا من الممكن ارجاعه الى :

- فقدان الثقة بين أطراف العملية السياسية فيما بينها من جهة، وما بينها وبين المجتمع من جهة أخرى.
- مشكلة التدخل الخارجي بالشأن العراقي.
- عدم الاهتمام بالثقافة السياسية لدى الشعب العراقي.
- إسناد المناصب الحكومية لغير الكفوئين والنفعيين.
- ترسيخ نظام المحاصصة والتوافقية ، خاصة بعد عام ٢٠٠٣.



- الافتقار لبرنامج وطني موحد يجمع بين طياته كل العراقيين.

- اعتماد الممارسات القبلية في إدارة الدولة.

- المأخذ على الدستور العراقي لعام (٢٠٠٥) بشكل واسع جدا ومؤثر.^{١٦}

تعد دراسة العراق حالة مثالية في هذا الخصوص، فقد أثار مقال نشرته صحيفة واشنطن تايمز الجدل حول مفهوم بناء الدولة من خلال التدخل العسكري، وهو الأسلوب الذي يمكن القول عنه إن الولايات المتحدة، إن لم تكن تتقنه، فإنها تمارسه، كالتدخلات الأمريكية المتكررة في أمريكا اللاتينية.

وقد جاء في المقال ما يلي: (في شهر تشرين الاول من العام ٢٠٠٠ استخف المرشح الرئاسي جورج بوش بمفهوم بناء الامة، والاقتراح القائل إن الجيش الأمريكي يجب ان يأخذ زمام المبادرة في بناء الدول الفاشلة. وقال بوش في مناظرة مع المنافس الديمقراطي آل غور: " ربما يغيب عني شيء، ولكن هل سيكون لدينا نوع من فيالق بناء الامة في أمريكا؟ بالطبع لا".^{١٧} وهنا يتهم بوش على الفكرة التي نفذها بحذافيرها ضد العراق وافغانستان.

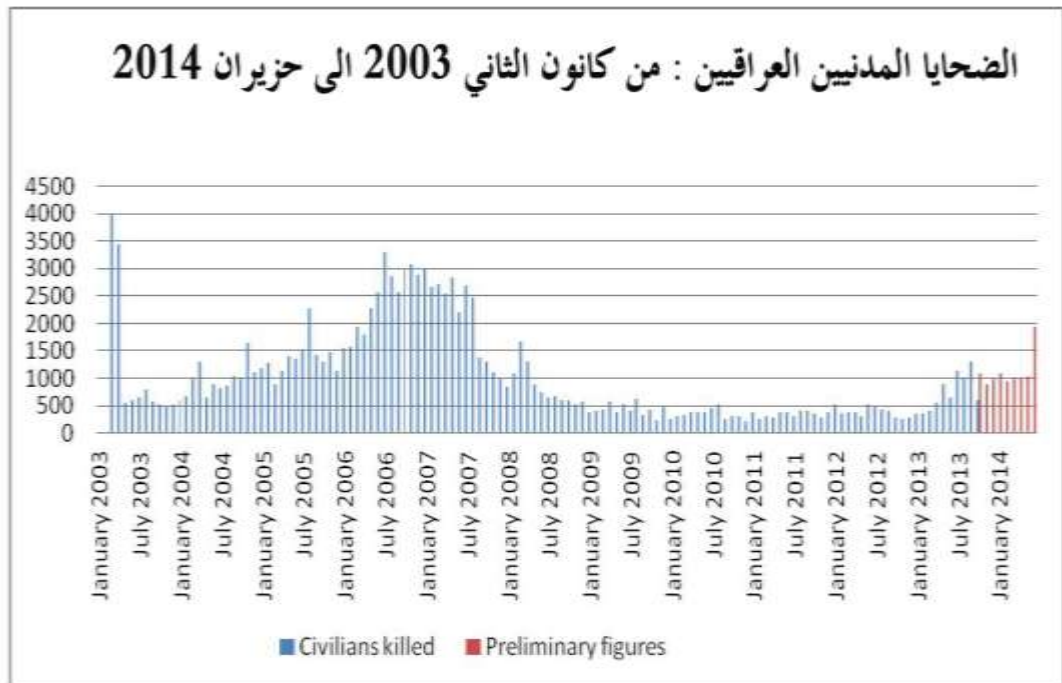
وبما أن العراق كان تحت الاحتلال المباشر الى وقت قريب ، فإن عملية اعادة بناء الدولة فيه تتسم بالتعقيد الشديد ، وتعدد المستويات ، وتفاوت الاهداف ، بدءا من فرض نظام ديمقراطي الى إعادة الهيكلة المؤسسات السياسية والاقتصادية والامنية للدولة والمجتمع المحتل ، وقد تصل الى حد إعادة بناء الأمة في بعض الحالات، بما يتضمنه ذلك من إعادة هيكلة المؤسسات الثقافية والاجتماعية . كما تتسم مشروعات اعادة بناء الدولة تحت الاحتلال بانها تجري في بيئات محلية واقليمية ودولية متفاوتة.^{١٨}

إن الوضع السياسي العام في العراق مضطرب ولا يبشر بخير ، فالطموح السياسي بحلول الديمقراطية والحرية لا تواكب الاحداث على أرض الواقع، من تمسك بالسلطة وعنف وفساد مستشري. فقبل بداية الحرب، أعلن الرئيس الأمريكي بوش صراحةً ان العراق سيتحول الى دولة ديمقراطية ، وأن الحرب بحد ذاتها إن هي إلا المرحلة الاولى في خطة أوسع لتغيير السياسات نحو الشرق الاوسط الكبير. وعلى عكس النموذج الافغاني ، قامت القوات الأمريكية والبريطانية أساسا بكل العمليات العسكرية في العراق، دون مساعدة أي من الحلفاء المحليين ، ومع سقوط نظام صدام حسين ، أصبحت سلطة الائتلاف المؤقتة السلطة العليا في العراق.^{١٩}



إن العنف الذي مارسه المحتل ، ليس فقط ضد القوات المسلحة العراقية ، التي يعده البعض

مبالغاً به وانتقامياً، بل حتى ضد المجتمع العراقي وافتتح به حقبة من العنف توغلت في قطاعات الحياة المختلفة ، حتى وصلت الى منصات الخطاب السياسي.^{٢٠٠}



شكل رقم ٢- عدد القتلى المدنيين العراقيين

إنتاج العنف السياسي :

إن العنف فعل بشري لازم وجود الانسان ، وارتبط بجميع مجالات الحياة ، وظهر جلياً في الفعل السياسي منه ، وفي بعض الحالات يمكن القول بوجود عامل أو عوامل جوهرية أو مركزية تؤدي إلى أعمال العنف بينما يأتي تأثير العوامل الأخرى في مرتبة تالية فعلى سبيل المثال تعتبر أزمة التكامل وتسييسها عاملاً محورياً للعنف السياسي في السودان والعراق، بينما الأزمة الاقتصادية كانت عاملاً جوهرياً للعنف السياسي في لبنان وتونس في





الثمانينات وأضيف أن أحداث الثامن والتاسع عشر من يناير ١٩٧٧ في مصر كانت نتاج أزمة اقتصادية.^{٢١}

ومن أعلاه يمكن القول إن انتاج العنف يصدر من ازيمات تعاني منها المجتمعات المأزومة، كل حسب تاريخه ومجتمعه وثقافته، وهنا تختلف الحالة من بلد لآخر.

أما في العراق، بعد احداث عام ٢٠٠٣ ، والصدمة المجتمعية بالغزو وزوال نظام متسلط دام اكثر من ٣٠ عاماً ، كان العنف السياسي وسيلة للوصول الى الاهداف بالنسبة لمن يمارسه، فمثلا كانت المقاومة المسلحة تمارس ضغطاً ميدانه الشارع ضد الوجود الاجنبي لغاية فرض أجندة سياسية مختلفة، وبالعكس كانت قوات الاحتلال تمارس عنفاً موجهاً ضد كل من يقاومها او يعارضها توجهاتها السياسية في العراق.

وفي فوضى العنف المتبادل ، قتل الآلاف من العراقيين وهجر أضعاف العدد ، وحطمت البنية التحتية وتراجعت البلاد الى مستوى غير معهود من التخلف والمرض والامية.

ويمكن اعتبار التاريخ الاكثر خطورة في زيادة العنف في العراق الى اسوأ حالاته الدموية كان في ٢٢ / ٢ / ٢٠٠٦ حيث وقع تفجير إرهابي دمر مرقد الإمامين علي الهادي والحسن العسكري في سامراء ، الامر الذي ولد شرارة الصدامات المسلحة في وسط وجنوب وغرب العراق، ترتب عليه تصفيات دموية وتهجير قسري متبادل بين الطائفتين (السنية والشيعة).^{٢٢}

المبحث الثالث : العراق بعد ٢٠٠٣

يعد تاريخ ٢٠٠٣ غاية بالأهمية في كينونة العراق كدولة، ففي هذا التاريخ انتهى نظام حكم العراق لأكثر من ثلاثين عاماً ، وخضعت البلاد لاحتلال اجنبي من بين أول قراراته حل الجيش العراقي، صاحبه التاريخ العنفي العريق في التدخل بسياسة البلاد.

الدولة الجديدة، بعد الاحتلال، تميزت بالعديد من الخصال منها الدعوة الى الديمقراطية والحرية والانتقال السلمي للسلطة كسمات ايجابية لهذا التحول السريع ، رغم ان هناك ضبابية حول طبيعة هذا النظام وشكل التوجه الاقتصادي فيه ، وهي قضايا لم يحلها حتى الدستور الذي جاء بتناقضات اخرى وقنابل موقوتة (كشفها القانونيين والاكاديميين).



لكن ثمة سمة أخرى سلبية من بين سلبيات كانت موجودة سابقا ، واستمرت بالتواجد وبقوة في النظام الجديد.

سمة العنف السياسي:

إذا استدركنا في اتجاه النقاشات حول ظاهرة السلطة ، سرعان ما نجد ان ثمة توافقا بين المنظرين السياسيين ، سواء أكانوا من اليسار ام من اليمين ، ينظر الى العنف باعتباره لا شيء أكثر من التجلي الأكثر بروزا للسلطة: كل سياسة إنما هي صراع من أجل السلطة؛ والعنف إنما هو أقصى درجات السلطة.^{٢٣} وتلك نظرة واقعية للسلطة ، شواهدا ودلالاتها موجودة على مر العصور .

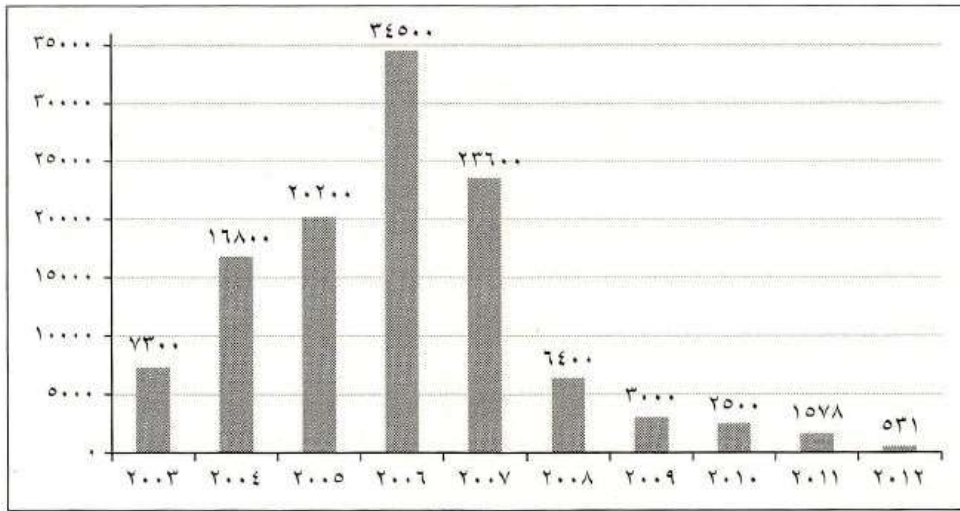
يتسم العنف السياسي في العراق، والذي اندلع بصورة غير مسبقة بعد عام ٢٠٠٣، بتستره خلف ستر وأغطية مختلفة ، منها ما هو ديني او اجتماعي او مناطقي وعشائري . وليس مستغرباً ان إجمالي التكلفة البشرية لمشروع هدم وإعادة بناء الدولة العراقية، قد بلغت ١١٦٤٠٩ قتيل من المدنيين، منذ بداية الحرب وحتى نهاية النصف الاول من سنة ٢٠١٢ ، أي خلال ما يقرب من ٩,٣ سنة، بمتوسط قدره نحو ١٢,٥ ألف قتيل سنويا خلال تلك المدة. وكما يتضح من بيانات الشكل (٣) في أدناه ، ان حجم التكلفة البشرية (الضحايا) لتطبيق المشروع بعد سنة ٢٠٠٣ ، فاقت بكثير حجم التكلفة البشرية للحرب نفسها، ما يؤكد ان تحديات إعادة بناء الدولة فاقت كثيراً تحديات الحرب نفسها ، وان التكلفة البشرية الأكبر للمشروع جاءت في سياق مقاومة المجتمع العراقي للمشروع أكثر منها نتيجة مباشرة لإسقاط نظام صدام حسين.^{٢٤} خاصة وأنه جاء طمعا في ثروات البلاد وتغيير ثقافته وتقاليده الراسخة. أنظر كلام الرئيس الأمريكي دونالد ترامب حول سرقة ثروات العراق.^{٢٥}

بالإضافة الى ممارسات المحتل العنيفة ، دخلت الى الساحة العراقية ، مجاميع ارهابية ، في البدء، بدعوى مقاومة المحتل ، ليتحول سلاحها رويداً رويدا صوب الجيش والشرطة والمدنيين العراقيين.





تطور عدد القتلى من المدنيين العراقيين في ظل الاحتلال خلال الفترة (٢٠٠٣ - حزيران/يونيو ٢٠١٢)



ملحوظة: بيانات سنة ٢٠١٢ حتى شهر حزيران/يونيو فقط.

المصدر: «Iraq Index: Tracking Variables of Reconstruction and Security in Iraq» Brookings Institution (July 2012), p. 3, <<http://www.brookings.edu/~media/Centers/saban/iraq%20index/index201207.pdf>>, (accessed on 10 January 2013).

الشكل رقم ٣- عدد القتلى العراقيين خلال مدة الاحتلال

ويقرن ابرز منظري الدولة (ماكس فيبر) مفهوم الشرعية بالدولة و"مثل جميع التجمعات السياسية التي وجدت قبل وجود الدولة تاريخيا، تعرف هذه الأخيرة انطلاقا من سيطرة الإنسان على الإنسان على أساس العنف المشروع (أي استعمال العنف الذي يعتبر شرعيا) اذ لا يمكن للدولة أن توجد إلا شريطة خضوع الناس المسيطر عليهم لنفوذ السلطة التي يطالب بها المسيطرون على الدوام ، وهذا ما يحتاج إلى فن وقدرة عالية تتجاوز الأسباب المعيارية للطاعة.^{٢٦}

وباعتبار أن العنف الوسيلة الخاصة والعادية لممارسة السلطة لدى الدولة والاساس في وجودها وزوالها ، بحسب اعتقاد ماكس فيبر ، كان لزاما على العنف ان يكون أكثر عقلانية وقبولا لدى العامة ، وهذا ما تمثل في أطروحة فيبر الذي جاء ليؤسس لمشروع الصراع، من أجل الهيمنة والبحث عن أشكال ووسائل ، منها العنف المشروع. فسعى على مستوى النظرية والتطبيق بالبحث في شرعية ومشروعية العنف.^{٢٧} وفي ذلك تبرير لبناء الدولة عن طريق العنف وعلى عامة الناس تقبل الموضوع وتسليم بعقلانيته ومشروعيته.



الخاتمة

العراق دولة عريقة في الشرق الأوسط ، ومن أوائل الدول التي أعلنت استقلالها عن الاستعمار الأجنبي .

لكن هذا البلاد مرت بما مر به اغلب الدول العربية من صعود نخب بعضها عسكري وبعضها سياسي متحزب ، انتهت اغلبها الى حكم فردي بنظام بوليسي صارم . إلا أن ما يختلف به العراق ان نظامه انشئ وتم تغييره بإرادة دولية وبالقوة العسكرية المباشرة .

إعادة بناء الدولة العراقية بدل تلك التي انهارت ، شابه الكثير من السلبات ومن بينها العنف السياسي الذي واكب العملية حتى وقت كتابة هذه السطور . ورغم أن هذا العنف ليس غريبا على العراقيين ، إلا أن ظهوره في زمن الديمقراطية والحريات العامة ، فكان نشازاً ومستهجناً .

العنف تجسد أولاً في العملية العسكرية الواسعة التي أطاحت بالنظام السياسي السابق ، ثم تجسد بالعنف بعمليات المقاومة للمحتل التي تبنتها فصائل متنوعة المشارب والاتجاهات ، وبعدها ظهر الارهاب كأبرز تحدي عنفي يواجه الدولة العراقية الناشئة ، وفي نسخته الأولى القاعدة والثانية داعش .

وحتى بعد دحر الارهاب ، برزت مشاكل أخرى ، كالنازحين وإعادة اعمار المناطق المحررة والمدمرة بفعل العمليات الارهابية والعسكرية . ليستمر سيناريو العنف في العراق ، حيث تم مواجهة مظاهرات مطلبية عارمة أندلعت في الاول من تشرين الاول ٢٠١٩ ، بعنف مفرط ادى الى سقوط مئات القتلى والاف الجرحى وعشرات المغيبين .

إن العنف السياسي في العراق ، اختلف عبر العهود ، منفذيه وضحاياه ، لكن الذي يبدو ثابتاً ، تزعزع قيمة ومكانة الانسان ، وسقوط المجتمع في دوامة الفوضى والدماء ، وهدر مستمر للثروات ، وصعود ثقافات الفساد واللصوصية وسرقة المال العام ، على حساب الشرف والنزاهة والوطنية ، في ظل وضع دولي واقليمي وداخلي ، يزخر بالطاقة السلبية والتثبيط وانهايار القيم والاخلاق .

الاثار : تبدو آثار العنف في العراق واضحة المعالم وفي جميع القطاعات المجتمعية ، وليس بمستغرب مقولة إن المجتمع العراقي مجتمع عنيف ، فالأب يؤدب أبناءه بالضرب ، والاخ يضرب اخته ، والكبير من الأخوة يضرب الاصغر ، وهكذا . والمعلم يعلم تلاميذه





ويحثهم على الدراسة والحضور بالضرب، والشرطي يضرب المتهم ويعذبه لكي ينتزع الاعترافات، والكثير من التصرفات والأفعال العنيفة التي تراها يوميا تحدث وينظر لها العراقيون بدون استهجان وكأنها أصبحت تقليدا او عادة اجتماعية، كإطلاق النار للتعبير عن الفرح او الحزن.

النتائج:

تعد ظاهرة العنف السياسي من أصعب التحديات التي يواجهها العراق ، ذلك أن هذا التحدي من الخطورة بحيث بات يهدد مستقبل الدولة والمجتمع معاً . ونظراً لما يخلفه من نتائج مأساوية في تدمير الأرواح البشرية والآثار النفسية والمادية والاجتماعية والسياسية، فإن هذه الظاهرة تتطلب بحثها ودراستها بموضوعية وواقعية. من هنا يرى الباحث، ان البحث في علاقة الارتباط بين متغيري بناء الدولة والعنف السياسي ووضع رؤية بصيغة توصيات لحل مشكلة العنف السياسي عبر دراسة مسبباته المجتمعية الداخلية ومسبباته الدولية الخارجية .

إن العنف السياسي يحرم الإنسان من حقه في الحياة ، الذي نصت عليه جميع المواثيق الدولية ، فقد ورد في المادة الثالثة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان إن "لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه" ونجد الأمر ذاته في الاتفاقية الدولية بشأن الحقوق المدنية والسياسية ، المادة (٦) الفقرة (١) ((لكل إنسان الحق الطبيعي في الحياة ويحمي القانون هذا الحق ولا يجوز حرمان أي فرد من حياته بشكل تعسفي)).

إن العنف السياسي يؤدي بالمجتمع الحديث، وبسبب الطبيعة الفتاكة للسلاح الحديث وتأثيره الواسع النطاق الى قتل وجرح أشخاص آخرين لا علاقة تربطهم بالخصم الذي يستخدم ضده العنف ، ويؤدي الى تهديم وإتلاف ممتلكات الاهالي الذين ليس لهم علاقة بالخصم المستهدف ، وغالباً يؤدي العنف المسلح الى اضطراب عدد كبير من الناس لترك دورهم السكنية وحقولهم فراراً من القتل ، وقد تصل إصابات القتل والجرح الى مئات الأشخاص وقد تصل الخسائر المالية الى مئات ملايين الأموال . وإن بعض ظواهر العنف المادية تتضح من خلال قيام بعض الدول بإشعال الحروب لغزو أو استعمار أراضي غيرها ، لأجل استغلال خيراتها واستعباد شعوبها، هذا على الصعيد الخارجي الواضح الذي يشكل أكثر صور العنف في تاريخ البشرية ، وقد يكون للعنف مظهر داخلي تسعى من خلاله



حكومات الدول الى إخراس مناوئها وضرب كل من تسول له نفسه الوقوف في وجه سلطتها، فترفع المشانق وتفتح السجون وسيلة ترهيب مخيفة .

الهوامش والمصادر:

- ^١ حيدر مثني محمد المعتم، العنف السياسي تحليل الصحف لظاهرة الارهاب والعنف، العربي للنشر والتوزيع ، ط١، القاهرة، ٢٠١٩ ، ص٤٥.
- ^٢ لويس معلوف، المنجد في اللغة والادب والعلوم، المطبعة الكاثوليكية ، ط١٩، بيروت-لبنان ، ٢٠٠٩، ص٥٣٣.
- ^٣ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة-مصر، ٢٠٠٨ ، ص١١٥١.
- ^٤ احمد سعيغان، قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية، مكتبة لبنان ، ط١، لبنان، ٢٠٠٤ ، ص٢٤٥.
- ^٥ قاموس المصطلحات السياسية، بوابة فلسطين القانونية، الرابط:
<http://faculty.ksu.edu.sa/dr.reda/Documents/%D9%85%D8%B5%D8%B7%D9%84%D8%AD%D8%A7%D8%AA/%D9%82%D8%A7%D9%85%D9%88%D8%B3%20%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B5%D8%B7%D9%84%D8%AD%D8%A7%D8%AA%20%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D8%A9.pdf>، ص٣٧.
- ^٦ حسنين توفيق إبراهيم ، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٩ ، ص ٤٨ .
- ^٧ باقر ياسين، تاريخ العنف الدموي في العراق، دار الكنوز الادبية ، ط١، بيروت-لبنان، ١٩٩٩ ، ص١٦.
- ^٨ شاكر عبد الكريم فاضل، العنف السياسي في العراق ، جامعة ديالى -كلية القانون والعلوم السياسية،، ص ٤٨٦.
- ^{٩*} حنا ارندت : (١٩٠٦ - ١٩٧٥) وهي منظرة سياسية وباحثة يهودية من أصل ألماني. على الرغم من أنه كثيرا ما وُصفت بالفيلسوفة . ومصطلح حكومة كيزلنغ الذي ذكرته يشير الى فيدكون كفيشلينغ (١٨ يوليو ١٨٨٧ - ٢٤ أكتوبر ١٩٤٥) ضابطا عسكريا وسياسيا نرويجيا ترأس حكومة النرويج بعد أن احتلت ألمانيا النازية البلاد خلال الحرب العالمية الثانية.(وكيبيديا)





^{١٠*} يستخدم مفهوم القوة الناعمة في نظرية العلاقات الدولية لوصف قدرة الفاعلين الدوليين (الدولة) على التأثير بطريقة غير مباشرة في سلوك ومصالح غيرها من الدول عبر الوسائل الثقافية والايديولوجية. (المصدر: حسين علي بحيري، القوة الناعمة، المركز الدولي للدراسات المستقبلية، تشرين الاول ٢٠٠٨، ص ٦. الرابط: https://www.cia.gov/library/abbottabad-compound/4F/4FE1E0A442AE6EF03B9FFFE7980E59B8_%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%88%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A7%D8%B9%D9%85%D8%A9_.._%D8%AD%D8%B3%D9%8A%D9%86_%D8%B9%D9%84%D9%8A_%D8%A8%D8%AD%D9%8A%D8%B1%D9%8A.pdf)

^{١١} سليل شيتي، الأمين العام لمنظمة العفو الدولية، موقع المنظمة ، الرابط: <https://www.amnesty.org/ar/latest/news/2016/07/uk-amnesty-international-response-to-chilcot-report-on-iraq-war>

^{١٢*} انظر الشكل رقم ١ حيث يتصدر العراق قائمة البلدان المتضررة من العمليات الارهابية

^{١٣} محمد أمين بن جيلالي، بناء الدولة: المفهوم والنظرية وأسئلة الراهن، المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية ، ٢٠١٦، ص ٢، الرابط: <https://eipss-eg.org/wp-content/uploads/2016/10/%D8%A8%D9%86%D8%A7%D8%A1-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%81%D9%87%D9%88%D9%85-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B8%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D8%A3%D8%B3%D8%A6%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A7%D9%87%D9%86.pdf>

^{١٤} محمد محيي الهيمص، بناء الدولة العراقية ، مجلة ديالى، العدد ٤٣، ٢٠١٠، ص ٥٣٣.

^{١٥} بلقيس محمد جواد، قراءة في تأسيس الدولة العراقية ١٩٢١، كلية العلوم السياسية -جامعة بغداد ، ص ١٤.

^{١٦} معوقات بناء الدولة في العراق (١).. قراءة في الإشكالات السياسية، مركز المستقبل للدراسات الاستراتيجية ،تموز -٢٠١٩، الرابط: <http://mcsr.net/news506>



^{١٧} كاثرين شكدام، بناء الامة وسياسة بناء الدولة ، المثال الفرنسي ومحدداته، مركز البيان للدراسات الاستراتيجية ، ٢٠١٨ ، ص٩ ، الرابط: <http://www.bayancenter.org/wp-content/uploads/2018/04/9897654321234.pdf>

^{١٨} محمد فايز فرحات ، الاحتلال واعادة بناء الدولة، سلسلة اطروحات الدكتوراه، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، لبنان، ٢٠١٥، ص ٧٥.

^{١٩} فرانسيس فوكوياما ، بناء الدولة ، ترجمة :مجاب الامام، العبيكان للنشر، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠٠٧ ، ص٢٨.

^{٢٠*} انظر شكل رقم ٢- ويوضح عدد القتلى المدنيين العراقيين، المصدر : Iraq: The security situation in the 'contested' areas of Iraq,22 August 2014,pp15,https://www.gov.uk/immigration-operational-guidance/asylum-policy

^{٢١} محمد نبيل الشيمي، العنف السياسي في العالم العربي...دواعيه وتداعياته، موقع الحوار المتمدن ، العدد ٣٠٠٩ ، ٢٠١٠ ، الرابط:

•=<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=215970&r>

^{٢٢} ناظم نواف الشمري، ظاهرة عدم الاستقرار السياسي في العراق وتداعياته العربية والإقليمية، مجلة السياسية والدولية ، الجامعة المستنصرية ، العدد ١٨ ، ٢٠١١ ، ص٣١٥.

^{٢٣} حنة أرندت، في العنف ، ترجمة ابراهيم العريس، دار الساقى، ط٢، بيروت-لبنان، ٢٠١٥ ، ص٣١.

^{٢٤} محمد فايز فرحات ، الاحتلال واعادة بناء الدولة، سلسلة اطروحات الدكتوراه، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، لبنان، ٢٠١٥ ، ص٣٩٤.

^{٢٥} اليوتيوب ، الرابط : <https://www.youtube.com/watch?v=437TDGtgKos>

^{٢٦} مختاري ميلود، اشكاليات السلطة والقوة في الفكر السياسي الحديث ، ماكس فيبر انموذجا، اطروحة دكتوراه، جامعة الجيلالي اليايس سيدي بالعباس، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، الجزائر ، ٢٠١٥ ، ص٤٤.

^{٢٧} مختاري ميلود، أشكال السلطة والقوة في الفكر السياسية الحديث، رسالة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي اليايس سيدي بالعباس، الجزائر، ٢٠١٥، ص أ.

